



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

نوفمبر ٢٠١١ م

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة

الكنيسة ملح الأرض

إن الكنيسة بالنسبة للعالم الأرضي وإهتماماته الأرضية، هي بالحقيقة غريبة في تعاليمها وأهدافها عن العالم ولكنها وجدت ولا تزال موجودة من أجل العالم، فهي موجودة في العالم لتغير العالم.

أما الإختلاف الجوهرى القائم بين الكنيسة والعالم، فهو أيضا ضمن رسالة الكنيسة وعملها، لأنها مسئولة أن تجعل هذا الإختلاف لا يتعارض مع خلاص البشر وتقدم العالم ورخاء المجتمع.

فقد علمنا الإنجيل بأنه: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو: ٣: ١٦). فقد أحب الله العالم كما كان منذ البدء، و كما هو عليه الآن، ولا يزال يحبه أيضاً بالرغم من كل ما فيه.

و واضح أن معي المسيح إلى العالم كان لكي يضع على الأرض بدمه "حجر أساس" كريماً لبناء "ملكوت الله" والكنيسة هي البناء الذي فيه المسيح "حجر الأساس" وهو أخذ في النمو بصورة سرية، كما تنمو البذرة تحت سطح الأرض أولاً لتظهر فجأة، أو كما يختمر العجين كله بفعل الخميرة غير المنظورة....

والحقيقة التي ثبتت على ممر العصور، من واقع الصراع الذي يعانیه الناس في المجتمع، ومن واقع يؤس العالم وحاجته إلى من يرفعه باستمرار من الورطات التي يتردى فيها بسبب مجازفاته، أن الكنيسة ليست رسالة غريبة عن العالم أبداً، ولا المسيحي عابر سبيل فيه. فالكنيسة في العالم هي بمثابة الرئة التي يتنفس بها العالم من روح الله، وهي ضرورة حيوية فيه، وبدونها يختنق حتماً ويموت. ولكن الكنيسة أيضاً بدون العالم لا يمكن أن تقوم بعملها، أو بالحرى تفقد وجودها وتصير بدون عمل.

فالمسيحي الحقيقي هو الملح الذي يصلح العالم، بقدوته وسيرته ومقاومته الايجابية لعوامل الفساد التي تعمل في العالم بلا هوادة لإفساده. أما إن فسد الملح ذاته، بمعنى أنه يخضع لروح الفساد الذي يعمل في العالم، فإنه لا يعود يصلح لشيء إلا أن يطرح خارجاً ويُداس من الناس.

الله لم يترك العالم في عجزه وفقرة وظلمته، والمسيح لما جاء لم يجلس في الهيكل كإله، بل إنطرح في صميم عجز العالم وفقره ومرضه، وشارك الناس ذلهم و إنسحاقهم، وأجاز نفسه تحت ظلمة العالم وروحه الشرير وحقده وحسده وعداوته، حتى صلبوه في مهانة فاقت حدود التصور، وهو كان راضياً على كل ذلك، لأنه أحب العالم وأراد أن يخلصه!! المسيح لم يستعف من العالم الشرير الظالم، ولم يقبل أن تُعمل له مظلة على جبل التجلى، ولا قبل أن يجعلوه ملكاً.

لذلك لما بدأ يُعلم التلاميذ كيف يخدمون العالم ويحبونه، لم يعلمهم أن يخشوا شره: "ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب" (لو: ١٠: ٣) ولم يُحرضهم أن يخشوا تياراته خوفاً على نورهم من الإنطفاء بسبب ربح الشر الذي يهب عليهم، بل دعا كل من يؤمن به أن يضع نفسه في مهب التيار على متن منارة في مكان في دنيا الشر والظلام، حتى تُرى أعماله أنها بالله

معمولة، وتُفحص بالنور، ويراهما الجميع ويمجدوا الله. وهذا كفيلاً أن يُحول العالم كله، لو كان للمسيح من يركز به هكذا في كل مكان.

لقد حدد المسيح دور الكنيسة وعملها في العالم كما يتحدد دور الملح في الطعام، إذ يلزم أن يذوب فيه ويتلاشى عن شكله وكيانه ويترك طبيعته المُطهرة تعمل وحدها. فالكنيسة تصبح أداة تملح حينما تكون مستعدة أن تنتشر في أرجاء العالم فاقدة لكل ميزة خصوصية، مُعطية ذاتها عطاءً كلياً حتى الموت.....

العالم لا تُسكن آلامه بالكلمات ولا تستأصل أورامه بالعظائم، العالم يحتاج دائماً إلى فدية، إلى نفوس تموت كل يوم لتحفظ شهادة الإنجيل حية، حتى تستطيع أن تقبلها النفوس المريضة وتحيا بها...

إن المحاولات الجبارة التي قام بها العلماء الاجتماعيون والتربويون والنفسانيون خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، لرفع قيمة الإنسان الذاتية وتسليحه بأخلاق إجتماعية بدون المسيح، باءت بخسارة عظيمة لا يُمكن أن تعوض.

إن سر فساد المجتمعات في البلاد الغربية يرجع لسبب واحد لا غير هو الإستغناء عن المسيح! فكل المكاسب الإجتماعية العظيمة التي فاز بها العالم الغربي كميراث لنشاط الكنيسة في القرون السالفة كلها، قد بدأ ينخر فيها السوس، سوس الكبرياء العنصرى و النفعية والإباحية الجنسية والحرية الإجرامية، حتى تشوه كل جمال أوربا و امريكا، و قلَّ فيها الإنسان التَّقَى الذى يخاف الله.

وقد ثبت أن الإنسان بدون المسيح لا يستطيع أن يحتفظ بميراثه الأخلاقى، مهما كان متيناً راسخاً. فبدون المسيح قد ينجح الإنسان أن يعمل كل شئ، ولكنه لن ينجح في حفظ طهارته وأمانته وحبه للآخرين حباً خالصاً حتى

النهاية. وقد تنجح البيئات المتقدمة أن تخدم الفقراء والضعفاء والمرضى والمشوهين بدون أى وازع دينى. ولكن بدون المسيح لا يمكن أن يبذل الإنسان نفسه من أجل هؤلاء الفقراء والضعفاء والمرضى..!

كل البيئات العصرية الآن نجحت في تحرُّرها من الرجعية والخرافات، ومن العبودية الفكرية ومن الظلم، ولكن بسبب تركها للمسيح تحولت الحرية لها إلى إباحية سافرة وإجرام وهبوط شنيع فى المستوى الإنسانى...

كذلك فإن من الأسباب الرئيسية التى تسببت فى إتهيار المجتمعات العصرية هو إستغناؤها عن حقيقة الحياة الأبدية أى إهمالها لفكرة الحياة الأخرى. فكان من نتيجة ذلك أن أُصيبت المجتمعات بنكوص شديد وهبوط خطير فى تقييمها للمبادئ الأخلاقية والإنسانية، لأن الذى يشد المجتمعات إلى الأمام ويحفظ نموها ورقمها الأخلاقى هو إحساسها بالحياة الفضلى الآتية، مما يجعلها دائماً أبداً تُعد ذاتها إعداداً داخلياً مستمراً لتُناسب هذه الحياة الفضلى. إذن، فالإيمان بملكوته الله الحياة الأبدية عنصر أساسى فى تقدُّم المجتمعات وتطورها المستمر.

يلزم أن يكون الإنسان قد نجح فى حربه الداخلية مع نفسه، وأخضع ميوله وشهواته وآماله لمشية المسيح، وضبط ذاته ضبطاً روحياً أهله أن يسلمها للرب تسليماً ناجحاً يزداد قوة وعمقاً كل يوم، وأصبح يحس أنه ليس حراً فى تصرفاته، لأن يد الرب تمسكه وتقوده. كما أنه لم يعد فى نظر نفسه قادراً على شئ، ولكن يثق فى الرب أنه قادر أن يصنع به كل شئ - لو أراد - وهو يتبع هذه الإرادة حتى الموت. وبهذا يتسلح الإنسان بأقوى سلاح فى حربه الإيجابية تجاه العالم، وهو الإختفاء وراء الرب، فينجح دائماً،

وفى نفس الوقت ينجو من الغرور!!

فهو يحس أنه أصبح جزءاً لا يتجزأ من الكنيسة ومن جسم المسيح المصلوب المتألم للعالم! فهو يرى نفسه دائماً مسؤولاً عن الكنيسة وضعفها، وعن رسالتها من أقصى الأرض إلى أقصاها، يئن تحت نيرها ويودُّ لو يُزاد نصيبه الشخصي من آلامها وعارها، وذلك ليس طموحاً ولا إجتراءً ذاتياً، لأنه يكون في الحقيقة متمنطقاً بأسرارها، ويجرى في دمه حب المسيح ووصاياه، وهو لا يهدأ ولا يستطيع أن يهدأ عن الشهادة للمسيح والإنجيل أينما وجد وكيفما كان.

علينا أن ننظر إلى كافة الناس البعيدين عن المسيح بهذا الرجاء والإيمان عينه، ولا نكف عن خدمتهم والصلاة عنهم بتوسل ومحبة، عالمين ومتيقنين أن مشيئة المسيح هي خلاصهم .

الفصل الثاني: الطقس القبطي القديم لصلوات رفع بخور

باكر عند ابن كبر .

سوف نبحثُ معاً العناصر الليتورجية للطقس القبطي القديم لصلوات رفع بخور باكر حسب الباب ١٦ من كتاب "مصباح الظلمة و إيضاح الخدمة" لأبن كبر طبقاً لأقدم مخطوطين لهذا الكتاب، وهما "مخطوط باريس"، و "مخطوط أوسالا".

● **الموقع الطقسي القديم لمزامير صلاة باكر:** كانت ترفع بخور باكر بعد ترتيب مزامير باكر ثم الإبصالية التي تعقبها. وهو الطقس الذي يُمارس اليوم في الكنيسة القبطية علي مدار السنة الليتورجية . و ما يُلفت النظر هو أن ترتيب مزامير صلاة باكر كان يُقال جُبراً.

● **ذُكُصُولُوجِيَّةُ باكر آدم :** تُتفق المخطوطات علي أنه بعد ترتيب مزامير صلاة باكر، تُقال إبصالية بلحن آدم، : "النور الحقيقي...أنت هي أم النور المكرمة..."، ثم يعقبها "ذُكُصُولُوجِيَّاتُ باكر آدم"، والتي ندعوها " **ذُكُصُولُوجِيَّةُ باكر آدم** "، وهي الذُكُصُولُوجِيَّةُ التي تنقسم إلي أربعة أقسام مستقلة وهي:

❖ **القسم الأول:** العشرة أرباع الأولى ، والتي تبدأ بالربيع: "تسجد للآب و الإبن و الرُوح القدس " .

❖ **القسم الثاني:** إبصالية باكر آدم، والتي تبدأ بالربيع: "أيها النور الحقيقي الذي يضيئ لكل إنسان أت إلي العالم..." .

❖ **القسم الثالث:** ذُكُصُولُوجِيَّاتُ باكر آدم، وهي ذُكُصُولُوجِيَّاتُ العذراء والملائكة والرُسل والشُهداء والقديسين .

❖ **القسم الرابع:** ذُكُصُولُوجِيَّةُ بعنوان: "لأجل الآباء والأنبياء".

الموقعان الطقسيان القديمان لترتيب الذُكُصُولُوجِيَّاتُ :

هناك موقعان طقسيان قديمان لترتيب الذُكُصُولُوجِيَّاتُ، يتفق عليهما كل من "مخطوط باريس"، ومخطوط أوسالا". وهما نفس الموقعان اللذان تُرتل فيهما الذُكُصُولُوجِيَّاتُ حتي اليوم

❖ **الموقع الطقسي الأوّل** لترتيب الذُكُصُولُوجِيَّاتُ : قبل رفع بخور باكر مباشرة، وهو يختص بالأيام السنوية .

❖ **الموقع الطقسي الثانی** لترتيب الذُكُصُولُوجِيَّاتُ : ويكون من داخل رفع بخور باكر، وهو يختص فقط بأعياد الشُهداء أو القديسين أو الملائكة و يكون بعد ذُكُصُولُوجِيَّةُ العذراء "السّلام لك نطلب اليك..." .

ترتيب صلوات رفع البخور:

الإنجيل فيلزم ان تكون لأحد كبار الشمامسة - أما في مدينة الإسكندرية ، فيرتل الأرشيدياكون نفسه إذا كان حاضر، أو يتلوه من الكبار. يُقبل الكهنة الإنجيل المقدس مفتوحاً قبل قراءته ، ثم يقبله كل الشعب في نهاية صلوات رفع البخور،

ملحوظة ١ : طقس تقبيل الشعب للإنجيل بعد قراءته مباشرة قد ألغي في حبرية البابا يوانس الثامن (١٣٠٠-١٣٢٠م) البطريرك الثمانون من بطاركة الكنيسة القبطية. وانتقل طقس تقبيله في صلوات رفع البخور إلي نهاية الصلوات، كعادة الرهبان في كنائس الأديرة، وهي العادة المستمرة حتي اليوم، حين يجري تقبيل الإنجيل - مع الصليب - في ختام صلوات رفع بخور عشية.

ملحوظة ٢ : ظلت قراءة السيكتسار عقب الإنتهاء من قراءة فصل إنجيل باكر بالعربية قائمة حتي منتصف الفصل السادس عشر الميلادي ثم إنتقلت من رفع بخور باكر إلي رفع بخور عشية، ثم أخيراً إلي القداس.

٦. التحليل في نهاية صلوات رفع البخور: يورد "مخطوط أوبسالا" طقس صلوات التحليل كما نعرفها اليوم.

٧. يذكر أنه في نهاية صلوات رفع البخور يُقبل الشعب الصليب.

٨. في الطقس القديم ظلّ تسريح الشعب من نصيب الشماس حتي منتصف القرن السادس عشر الميلادي وهو بحسب كلا من المخطوطين: "إمضوا بسلام الرب معكم". ثم بعد ذلك أصبح الكاهن هو الذي يصرف الشعب بالبركة و السلام حسب الجملة المعروفة الآن "محبة الله الأب....." ثم يقول: "إمضوا بسلام الرب. سلام الرب يكون معكم".

١. تبدأ صلوات رفع البخور بصلاة الشكر، ثم يعقها "رفع البخور" بإسم الثالوث ووضعه في المجرمة، والشماس يرد عليه كل مرة بالمرء "أمين"، كما يُمارس تماماً في طقس تقديم الحمل حالياً. ثم تأتي أوشية البخور، و التي بدايتها "يا الله الذي قبل إليه قرايين هابيل الصديق..." وهي أوشية ذات مردات للشماس ومردات للشعب.

٢. لا تُذكر أرباع الناقوس في كل من "مخطوط باريس" و"مخطوط أوبسالا" وأيضاً لا ذكّر لها في "مخطوط فيينا". ومن المعروف أنّ أرباع الناقوس لم تُعرف في الكنيسة القبطية إلا في القرن ١٥ الميلادي، أشار إليها البابا عُبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) لأول مرة في كتابه "الترتيب الطقسي".

٣. **دورة البخور حول المذبح وفي أرجاء الكنيسة وهي كالتالي :** الدوران بالبخور حول المذبح ثلاث مرّات - رفع البخور أمام باب الهيكل - تقديم البخور للبطيريك ومن كان حاضراً من الأساقفة ثم الكهنة - تبخير الأراخنة والشمامسة وهم يُقبّلون يده وهو يباركهم - وكذلك الشعب رجالاً ونساء - التبخير أمام الهياكل وأيقونات الشهداء والقديسين - العودة للهيكل و الوقوف أمام المذبح لرفع اعتراف الشعب لله - ثم دورة واحدة حول المذبح - ثم تقديم البخور للبطيريك وحده مرّة ثانية، أو للأسقف، أو من يكون حاضراً من الكهنة - يومئ الكاهن بالمجرمة إلي بقيّة الشعب.

٤. **طلبية "اللهم ارحمنا..."** أن هذه الطلبة قد عُرفت في بعض الجهات في مصر دون بعضها الاخر وسرعان ما إنتشرت في مصر كلها.

٥. طقس ترتيل مزمور الإنجيل و قراءة الإنجيل : ففي الصعيد، يكون ترتيل الإنجيل لشماس صغير، أما مردّات أوشية الإنجيل ، وقراءة فصل